خمسون أداة في الكتابة

55 استراتيجية ضرورية لكل كاتب

روي بيتر كلارك

أمة من الكتاب[1]

لا يكتب الأمريكيون لأسباب عديدة، أحد أهمها هو معاناة الكاتب. الكثير من الكتاب يتكلمون عن الكتابة ويتعاملون معها كأنها عذاب بطئ، أو شكل للتناسل منزوع منه الإثارة والرومانسية فليس فيها سوى الانقباض والانبساط والطلق والدفع.

ذات مرة لا حظ ريد سميث الكاتب في صحيفة النيويورك الرياضية: "الكتابة سهلة كل ما تحتاجه هو الجلوس على الة كاتبة وفتح وريدك" إنها المعاناة في حديقة ماديسون سكوير[(1)].

إذا اردت أن تكتب، فاليك سر: معاناة الكاتب يتم تضخيمها بشكل مبالغ فيه، إنها لعبة خداع، تشوه معرفي، نبوءة ذاتية التحقق، كما أنها أفضل عذر لعدم الكتابة. سأل الشرير روجر سايمون ذات مرة: "لماذا ينبغي أن أصاب بحبسه الكاتب[(2)]؟ لم يسبق أبدا أن أصيب أبي بحبسة سائق الشاحنة!".

قد يعاني القراء الجيدون مع نص صعب لكن المعاناة ليست هي الهدف من القراءة. الهدف هو الطلاقة. حيث ينساب المعنى إلى القارئ الجيد. بنفس الطريقة، الكتابة يجب أن تنساب من الكاتب الجيد أو على الأقل يضع ذلك هدفاً له.

يخبرنا المجتمع أن القراءة تساعد في النجاح في التعليم والتوظيف والمواطنة. القراءة صنعة الجميع. وعلى النقيض، فالكتابة تعتبر فناً دقيقاً. ثقافتنا ترفع قلة متميزة فقط على الأكتاف. نحن هم الموهوبون، وأنت لست كذلك. المعلم يقرأ قصصنا بصوت مرتفع أمام الفصل، أو يشجعنا على

[1] تشتهر حديقة ماديسون سكوير في نيويورك بالأحداث الرياضية والمسابقات الترفيهية الكبرى التي تتطلب من المشاركين فيها أداءً منقطع النظير.

[2] حبسة الكاتب مصطلح لوصف مشكلة شائعة تواجه الكاتب حيث يجد صعوبة في توليد أفكار جديدة أو التعبير عن أفكاره بالكلمات، فيفقد القدرة على الكتابة والإبداع مؤقتاً.

الاشتراك في مسابقة المقال، أو يدفع بنا للالتحاق بالصحيفة أو مجلة الأدب. نحن نزدهر بفضل هذا التقدير، لكن ماذا عن الملايين الذين تركوا في الخلف؟.

إذا كنت تشعر أنك ممن تركوا في الخلف، فهذا الكتاب يدعوك إلى تخيل الكتابة بصورة أقل كموهبة فريدة، وبصورة أكبر كمهنة هادفة. فكر في الكتابة كالنجارة، واعتبر هذا الكتاب هو صندوق أدواتك. تستطيع استعارة أداة من أدوات الكتابة في أي وقت، وها هو سر آخر، فعلى العكس من المطارق، الأزاميل، والمكابس، فأدوات الكتابة لا تحتاج أبدا لإرجاعها. وإنما يمكن تنظيفها، وشحذها ومشاركتها.

ستساعدك تلك الأدوات العملية على التخلص من عوائق الكتابة، جاعلة تلك الصنعة محورية في طريقة رؤيتك للعالم. فبمجرد أن تضيف أدوات إلى طاولة عملك، ستبدأ في رؤية العالم كمخزن لأفكار الكتابة.

عندما تكتسب الكفاءة في استخدام كل أداة، ومن ثم الطلاقة، فإن عملية الكتابة ستجعل منك طالباً أفضل، وعاملاً أفضل، وصديقاً أفضل، ومواطناً أفضل، ووالداً أفضل، ومعلماً أفضل، وشخصاً أفضل.

قمت بجمع هذه الأدوات لأول مرة في معهد بوينتر، وهو مدرسة للصحفيين، ولكن بفضل الإنترنت، سافرت هذه الأدوات حول العالم ذهابًا وإيابًا. لقد وجدت طريقها إلى أيادي المعلمين والطلاب والشعراء وكتاب الخيال ومحرري المجلات والمستقلين وكتاب السيناريو والمحامين والأطباء والكتاب المتخصصين والمدونين والعديد من العمال والمهنيين الآخرين الذين يعملون بالكلمات. فاجئني أن النسخ الإلكترونية يتم ترجمتها إلى عدة لغات، شاملة الإيطالية والإسبانية والبرتغالية والروسية والعربية واليابانية والإندونيسية، مما يذكرني بأن استراتيجيات الكتابة عابرة لحدود اللغة والثقافة.

ستجد في صندوق الأدوات هذا طرقًا جديدة للتفكير، مع العديد من النصائح المألوفة، بعد نفض الغبار عنها وإعادة صياغتها لتناسب قرناً جديداً. ولكن من أين تأتي أدوات الكتابة؟

- من الأعمال العظيمة عن الكتابة، مثل "عناصر الأسلوب" و"عن الكتابة الجيدة". استغرق جمع هذه الأدوات حياة كاملة، وليس حياتي فقط. لقد استغرقوا حياة كل من: دوروثيا براند، وبريندا يولاند، ورودولف فليش، وجورج أورويل، ووليام سترونك وتلميذه إي بي وايت، ووليام زينسر، وجون جاردنر، وديفيد لودج، وناتالي جولدبرج، وآن لاموت، وجميع المؤلفين الكرام الذين يشاركون معرفتهم عن كيفية صناعة كتابة جيدة.
- من المؤلفين الذين تم الاستشهاد بأمثلة من أكثر من مائتين من أعمالهم هنا. باستخدام أسلوب القراءة المتفحصة، تأسرني أحد الفقرات، فأرتدي نظارة الأشعة السينية خاصتي، وأنظر لما وراء النص لأرى الآلية الخفية للغة، وتركيب الجملة، والبلاغة، والتفكير النقدي الذي يخلق المؤثرات التي أختبرها كقارئ. ومن ثم أصوغ ما أراه في أداة للكتابة.
- من المحادثات المثمرة مع كتاب ومحررين محترفين. تعلمت ذات مرة أن ثلاثة سلوكيات فقط هي التي تميز المثقفين عن غيرهم. الأولان واضحان هما القراءة والكتابة؛ لكن الثالثة التي فاجأتني هي الحديث عن كيفية عمل القراءة والكتابة. الكثير من الأدوات جاءت من حديث رائع عن بناء القصص وصياغة المعنى.
- وأخيراً، من معلمي الكتابة العِظام في أمريكا. لقد عملوا لعقود من الزمن لتعليم عملية الكتابة للطلاب، لتوصيف الكتابة كصنعة، مجموعة من الخطوات العقلانية، صندوق مليء بالأدوات والعادات والاستراتيجيات.

إنني اكشف هذه المصادر - الأعمال العظيمة عن الكتابة، العمل الفعال للكتاب، المحادثات الجيدة بين الكتاب والمحررين، الأدوات المتوارثة من المعلمين- ليس فقط لأوفيهم حقهم، ولكن أيضا لعرض الوسائل والأساليب التي تم بها جمع أدوات للكتابة كلفت عمرا كاملا وكما قال تشوسر منذ أكثر من ستمائة عام: "الحياه قصيره جدا، وتعلم الصنعة طويل جدا".

قبل ان اكشف لك عن أدوات الكتابة دعني أقترح طرقاً لاستخدام هذا الكتاب:

- تذكر دوماً، هي أدوات وليست قواعد. إنها لا تعمل داخل حدود الصواب والخطأ وإنما تقع في أرضية السبب والنتيجة. لا تتفاجأ عندما تجد أمثلة كثيرة من الكتابات الجيدة في هذا العالم الذي يبدو أنه ينتهك النصائح العامة الموصوفة هنا.
- لا تحاول تطبيق كل هذه الأدوات دفعة واحدة. لاعب الجولف الطموح سيخطئ الضربة إذا حاول تذكر العناصر الثلاثين -أو أيا يكن- المختلفة لضربة الجولف الناجحة. اعدك بحالة من الشلل إذا فكرت في الكثير من هذه الأدوات عندما تجلس للكتابة. دع كتابتك تتدفق اولا، بعدها يمكنك الوصول لأداة.
- سيصبح العمل بهذه الأدوات أسهل بمرور الوقت. سوف تبدأ في التعرف على استخدامها في القصص التي تقرأها. سترى فرصًا لتطبيقها عندما تراجع عملك. بمرور الوقت، ستصبح جزءًا من عمليتك الخاصة، بشكل طبيعي وتلقائي.
- انك بالفعل تستخدم الكثير من هذه الأدوات دون معرفة ذلك. لا تستطيع التفكير أو التحدث أو الكتابة أو القراءة بدونهم، لكن من الآن سنقوم بتسمية هذه الأدوات لتستطيع الكلام عنهم بأشكال مختلفة. وكلما زادت حصيلتك اللغوية النقدية، ستتحسن كتابتك.

سوف تلاحظ أنني ضربت أمثلة للكتابة الجيدة من عدة مجالات للكتابة والسرد القصصي: من الخيال والشعر، من الصحافة والواقعية، من المقالات والسير الذاتية. التنوع مهم، فالأدب يُعبِّر عن أفضل عمل يمكن أن يُخلَق تحت أي ظروف، و الصحافة عن أفضل عمل يمكن أن يُخلَق تحت الحدود الصارمة للزمان والمكان والغرض المدني. تقنعني شهادات الكثير من القراء أن الأدوات في هذا الكتاب تنطبق على المهام العامة لمعظم الكتاب.

يفترض استعمال أدوات الكتابة بعض الإلمام بمبادئ استخدام أساسيات اللغة، والقواعد، وعلامات الترقيم، والصياغة، لكنني احتفظت باللغة التقنية إلى الحد الأدنى. للإستفادة الكاملة، يجب أن تكون قادرًا على التعرف على أجزاء الكلام والأفعال والفواعل، والفقرة الرئيسية في الجملة،

ومعرفة الفرق بين نبرة المبني للمعلوم والمبني للمجهول. إذا كنت تفتقر لتلك المعرفة، من فضلك اقرأ هذا الكتاب على أي حال، لازال سيساعدك على تحسين كتابتك ويوضح لك ما تحتاج إلى تعلمه أيضًا.

عندما قرأ صديقي هذه الأدوات لأول مرة، لاحظ أنها تأخذ الكاتب والقارئ في رحلة من المستوى دون الذري إلى المستوى الميتافيزيقي، من مكان وضع الفعل والفاعل إلى كيفية العثور على مهمتك وإيجاد هدفك. ألهمني هذا التعليق تقسيم الأدوات إلى أربعة صناديق:

1. الصواميل والمسامير: طرق صناعة المعنى، على مستوى الكلمة والجملة والفقرة.
2. المؤثرات الخاصة: أدوات للترشيد والتوضيح والتنظيم والإقناع.
3. القوالب: طرق تنظيم وبناء القصص والتقارير.
4. العادات المفيدة: أنظمة لعيش حياة من الكتابة المنتجة.

ستجد بعد كل أداة مجموعة من الأسئلة والتدريبات العملية، يزيد مجموعها عن مائتين. لقد كتبتها آخذا في اعتباري الطالب والمعلم، لكنني أشجع الجميع على قراءتها، حتى لو لم تقم بتنفيذ المهمة المقترحة. سوف تساعدك على تخيل طرق للنمو ككاتب.

الآن بعد أن عرفت هيكل ومحتويات هذا الكتاب، أود أن أحثك على مساندة رسالته وهدفه.

ستلاحظون أن عنواني، أدوات الكتابة، متواضع، لكن عنوان هذه المقدمة "أمة من الكتاب" جريئة. من الصعوبة بمكان أن نتخيل قرية أو مستعمرة للكتاب، فماذا عن أمة؟ .. ولم لا؟

انظر حولك. لقد وصفت اللجنة الوطنية للكتابة العواقب الوخيمة للكتابة السيئة في أمريكا، على الشركات والمهن والمعلمين والمستهلكين والمواطنين. إن التقارير والمذكرات والإعلانات والرسائل المكتوبة بشكل سيء تكلفنا الوقت والمال. إنها جلطات دموية في الجسم السياسي. سدة أمام تدفق المعلومات. مشاكل حاسمة تمضي دون حل. فرص الإصلاح والكفاءة قد دُفنت.

وتنادي اللجنة بـ "ثورة" في طريقة تفكير الأميركيين في الكتابة. الآن الوقت المناسب. يواجه الطلاب الآن اختبارات كتابية ذات شأن للتقدم في المدرسة والالتحاق بالجامعة. لكن التكنولوجيا تقف إلى جانبنا، وتخفف من أعباء الصياغة والمراجعة. لقد كتبت أول كتبي عام 1985 باستخدام آلة كاتبة من طراز رويال ستاندارد. آلة كتلك موجودة في مكتبي، إنها قطعة أثرية. الآن يستخدم الكتاب الشباب الهواتف المحمولة للتواصل باللغة التلغرافية والمختصرة للرسائل الفورية؛ حيث تسافر الكلمات حول العالم بسرعة الشهيق والزفير. لقد أنشأ هؤلاء الكتاب الجدد الملايين من سجلات ومواقع الإنترنت، وأصبحوا بذلك الناشرين لأعمالهم الخاصة.

لا شك أن المعايير المعبر عنها في هذه الأشكال الجديدة أكثر مرونة من تلك التي اقترحها سترونك ووايت. فالأصوات أكثر عفوية، والأساليب أكثر تجريبية، وشخصيات المؤلفين أكثر مراوغة.

هذه الأصوات الجديدة تتجاوز الحدود القديمة وتتطلب الانتباه، ولكن من يستطيع القول أن جودة الكتابة على الإنترنت هي أفضل ما يمكن أن تكون عليه؟ ومع نضج هؤلاء الكتاب الجدد، سيحتاجون إلى أدوات الكتابة لإتقان عملهم.

نحتاج إلى الكثير من أدوات الكتابة لبناء أمة من الكتاب. نسرد هنا خمسين منهم، واحد لكل أسبوع من السنة. مما يعطيك اسبوعين للعطلة.

تعلم واستمتع.

الجزء الأول

الصواميل والمسامير

الأداة الأولى

ابدأ الجمل بالأفعال والفواعل

اصنع المعنى مبكراً ثم دع العناصر الثانوية تتفرع إلى اليسار[2]

تخيل لو أن كل جملة تكتبها تُطبَع على أعرض ورقة في العالم. في الإنجليزية، تمتد الجملة من اليسار إلى اليمين. الآن تخيل الآتي: يُكوِّن الكاتب جملة مع وضع المبتدأ والخبر (الفعل والفاعل) في البداية، متبوعاً بعناصر ثانوية أخرى، صانعاً ما يسميه المتخصصون بـجملة متفرعة لليسار. كما فعلتُ الآن. مبتدأ وخبر الجملة الرئيسية أتوا أولاً (يُكوِّن الكاتب) بينما تفرعت العناصر الأخرى نحو اليسار. إليك مثال آخر كتبته ليديا بولجرين، رئيسة قسم القصص الإخبارية في صحيفة نيويورك تايمز:

«أحكم المتمردون سيطرتهم على "كاب هايتين"، ثاني كبرى المدن في "هايتي"، يوم الأحد، دون مقاومة تُذكر حيث هلل المئات من السكان، حرقوا قسم الشرطة، نهبوا الغذاء من مخازن الميناء ونهبوا المطار، الذي سرعان ما تم إغلاقه. ولاذ رجال الشرطة والمسلحون الموالون للرئيس "جين برتراند أرستيد" بالفرار.»

تحتوي الجملة الأولى على سبع وثلاثين كلمة، وتنضح بالأحداث. إن الجملة مكتظة وفي الحقيقة تهدد بتناثر أجزائها مثل محرك يوشك على الانفجار. ولكن أرشدت الكاتبة القارئ بسلاسة عن طريق أسر المعنى في أول ثلاث كلمات "أحكم المتمردون سيطرتهم"، فكر في هذه الفقرة كالقاطرة التي تجر خلفها كل عربات القطار.

يستطيع الكتاب المتقنون صياغة صفحة تلو الأخرى من الجمل المكتوبة بهذا التركيب. تأمل هذا المقطع الذي كتبه "جون ستاينبيك" من رواية "شارع السردين المعلب"، والذي يصف الحياة الروتينية لعالم بحري يُدعى "دوك" (وضعتُ خطوطاً تحت الأجزاء المهمة للتأكيد عليها):

2

[2] في النسخة الأصلية "تتفرع إلى اليمين" لأن اللغة الإنجليزية تُكتب من اليسار إلى اليمين.

"لم يحتج إلى ساعة، ظل يعمل وفقاً لحركة المد والجزر لوقت طويل لدرجة تمكنه من الشعور بتغير المد والجزر أثناء نومه. استيقظ فجراً، نظر عبر الزجاج الأمامي فرأى الماء ينحسر بالفعل عن الصخور. شرب بعض القهوة الساخنة، وأكل ثلاث شطائر، وأخذ كأساً من الخمر.

ينحسر المد خفية. وتظهر الصخور كما لو أنها ارتفعت ويتراجع المحيط تاركاً بركاً صغيرة، مخلفاً اعشاباً رطبة وطحالب واسفنج، منها البني والازرق والاحمر الصيني وطيف منسجم من الالوان.

تسكن مخلفات البحر المدهشة هذه القيعان، أصداف مكسورة ومهشمة، وأجزاء من العظام والقشور. إن قاع البحر كله مقبرة رائعة يجري فوقها الأحياء ويتزاحمون."

يضع "ستاينبيك" الفعل والفاعل في بداية كل جملة أو بالقرب منها. يتدفق الوضوح والطاقة السردية خلال الفقرة، حيث تُبنَي كل جملة على أخرى. يتجنب الرتابة من خلال تضمين الجملة الإعتراضية المختصرة (فجراً)، ومن خلال تنويع أطوال الجمل، وهي أحد أدوات الكتابة سنأتي إليها لاحقًا.

كثيراً ما يتم الفصل بين الفعل والفاعل في النثر، عادة لأننا نريد أن نقول للقارئ شيئاً عن الفاعل قبل أن نأتي للفعل. هذا التأخير، حتى وإن كان لأسباب وجيهة، قد يؤدي لإرباك القارئ.

لكن مع الحرص، يمكن أن ينجح:

«القصص عن طفولتي، تلك التي لم تُنسَى، التي حكيت مراراً وتكراراً على طاولات العشاء، في المواعيد الغرامية التي جلست فيها بوجه أحمر، من أبي الذي سيحكيها لأطفالي لاحقًا، هي قصص هروب.»

هكذا استهلت "آنا كويندلين" مذكراتها "كيف غيرت القراءة حياتي"، وهي جملة رئيسية من إحدى وثلاثين كلمة بين المبتدأ وخبره. أما عندما يكون الموضوع تقنياً، فإن التأثير الطبيعي للفصل هو الإرباك، كما يتمثل في هذا الجهد الأخرق:

«إن مشروع قانون يستثني الدخل الضريبي المُحصَّل على القيمة التقديرية للمنازل الجديدة من معادلة تمويل التعليم الحكومي قد يعني خسارة الإيرادات لمدارس مقاطعة تشيسابيك.»

هناك ثماني عشرة كلمة تفصل بين المبتدأ "مشروع قانون" وخبره الضعيف "قد يعني"، وهو عيب قاتل قد يحول خبر مدني مهم إلى طلاسم.

إذا أراد الكاتب خلق التشويق، أو إثارة التوتر، أو جعل القارئ ينتظر ويتساءل، أو الانضمام لرحلة لاستكشاف الحياة العزيزة أو التمسك بها، فيمكنه الإحتفاظ بمبتدأ وخبر الجملة الرئيسية للنهاية. كما فعلت للتو.

استخدمت "كيلي بنهام"، إحدى طالباتي السابقة، هذه الأداة عندما طُلب منها كتابة نعي "تيري شيافو"، المرأة التي أصبح مرضها الطويل ووفاتها المثيرة للجدل محور مناظرة دولية عن إنهاء الحياة:

«قبل أن يصطف المصلون أمام نافذتها، وقبل أن تدق مطرقة القضاة في ست محاكم، قبل أن يصدر الفاتيكان بيانه، وقبل أن يوقع الرئيس قانوناً في منتصف الليل لم تُلقِ المحكمة العليا له بالاً، كانت "تيري شيافو" مجرد فتاة عادية، لديها قطتان سمينتان، ووظيفة ليست بالأروع، وحياة أمريكية رتيبة.»

بتأخير المبتدأ والخبر يحكم الكاتب حبكته عن طريق المقابلة بين قضية مشهورة وفتاة عادية.

هذا التنوع يعمل فقط عندما تتفرع معظم الجمل الى اليسار وهو أسلوب ناجح في خلق المعنى والزخم والقوة الادبية. في فصل "الغرفة الرائعة تنهار" كتبت "كارول شيلدز" في روايتها "مذكرات الحجر":

«تاركًا كتلة صلبة من الظلام. بقى جسدها فقط مع مشكلة ماذا تفعل به. لم يتحول إلى غبار. تنهمر عليها الحقيقة ساطعة وهزلية وواضحة وسط تفكيرها بأن أطرافها وأعضائها تحولت إلى غبار مقدس أو رماد جنائزي. أمر مثير للضحك.»

وللإعجاب.

ورشة العمل

1. تصفح النيويورك تايمز أو صحيفتك المحلية والقلم في يدك. قم بتحديد أماكن المبتدأ والخبر.
2. افعل نفس الشيء على أمثلة من كتابتك.
3. افعل نفس الشيء على مسودة تعمل على كتابتها حاليا.
4. في المرة القادمة التي تعاني فيها مع جملة، أعد كتابتها واضعاً المبتدأ والخبر في البداية.
5. لأجل التنوع الدرامي، اكتب جملة يأتي المبتدأ والخبر فيها في النهاية.